صفات مشرقه للطب في مصر الاسلامية

د/ محمود شرف الدين

مدرس التاريخ والحضارة

لقد ازدهر الطب الإسلامي في مصر الإسلامية عبر عصورهـــــا المختلفة حيث سطعت في سمائها أسماء العديد من المبرزيـــــن الماهرين في هذا المجال الفوائد وقد اضطلعـــق بدورهـــ م الانساني الكبير في معالجة المرضي وتركيب الأدوية والتشريـــ) وما اليه عمليا في البيمار ستانات المتعددة بالفسطاط والفظ ئـــع والقاهرة في مقدمتهم أحمد بن محمد البلوي وعلي بن رضوان وعلـــي بن عيسي وعلي بن سليمان واسحق بن نسطاس وابن مقشر وغيرهـــم ممن تولوا تدريس الطب وممارسته باللغة العربيه علي طلابهم فـــي دور العلاج والمعاهد العلمية علي الرغم من إجادتهم السريانيـــــة والفارسيه والقبطيه حتي تيسر للطالب متابعة هذا العلم والالمـــام بمسائلة وحقائقه وهي مهنه سريفة ولاشك تسبغ علي المطلع بهـــا وقارا ومهايه وتقديرا وحري بمن داخل في صانعها ان يؤكـــد صدق نظره الناس في هذا التقدير من خلال معاملاته الطيبـــــه وتصرفاته النبيله متحليا بالسجايا الحسنه التي من أهمها الحلـــم والتواضع وسلامة الاعتقاد والخضوع لله الواحد الأحد راض النفـــس صافي السريره منشرح الصدر مبتسم الوجه واحداً ربه في كل خطواته غير مستهين بما صغر ولا متكبر علي ما حقر يعامل المريض العادي

معاملة الأمراء والخلفاء دون ما اختلاف أو تفرقه · فمعنى النظر في الداء قبل تصنيف الدواء ومطلوبا فيه أن يكون ملاحظا مجريا مجددا في معلوماته دؤوبا في جمعها · وغيرها من الفضائل التي تجعل منه طبيبا ماهرا وحكيما محنطا وجراحا موفقا يطير اسمه في كل مجال منتشرا ينقصه الجناح محلقا في ثوب الملائكة ملبيا نداء كل مريض في غير تقاعس أو تاخير وامامه النبراس القرآني الهادي بان الله لايضيع أجر من أحسن عملا ·

وقد ساعد علي ازدهار الطب في مصر الاسلامية عوامل متعددة متضافرة أهمها :

أ ـ وجود عدد كبير من البيمارستانات بالقاهرة والفسطاط فوق عملها الانساني في معالجة المرضي كانت تتخذ محلا لتدريس الطب النظري والعملي في قاعات أعدت لذلك

ب ـ الكتب القيمة التي صدرت كمراجع مهمة يستعين بها الأطباء في دراساتهم وأبحاثهم فقد كانت بخزانة دور العلاج والقصور النفائس النادرة في هذا العلم (فقد كان في البيمارستان العتيق بقطائع مصر خزانه كتب تضم مايزيد علي ألف مجلد ومصنف في العلوم الطبيه من كتب للاغريق والفرس والهنود مترجمة عن أصلها كما كانت بخزانه القصر الف مجلد آخر بالعربية وغيرها الفها اطباء عرب مل ابوعبد الله محمد ابن أبي يعقوب التميمي صاحب كتاب مادة البقاء

باصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الاوباء) وكتاب مخلص النفوس وكتاب الفحص والاخبار وقد اتصل خبر التميمي الذي نشأ ببيت المقدس بالحسن بن عبدالله بن طفج الاخشيد والي الرمله في عهد الأخشيديين ثم صحب يعقوب بن كلس ثم اتصل بالاطباء الذين وفدوا علي مصر مع المعز لدين الله الفاطمي وقد قال عن كتاب مخلص النفوس (هذا ترياق الفته بالقدس واحكمت تركيبه بمختصر نافع السمر من الافاعي والثعابين وأنواع الحيات المهلكه السم وهو مجرب ليس له مثيل . (١)

جـ - اعتمد هذا العلم في رقيه علي علماء عاشوا في مصر ابان العصر المتعاقبة اظهرهم ابو الحسن ابن سهلان بن عثمان الذي طان عالما وطبيبا حازقا قد علا جاهله في زمانه وقد كانت له تصانيف مثبته في الطب منها كتاب (الاقرباذين وكتاب مختصر الطب الذي كان قد صنفه ليحفظ خزانه الملوك بمصر وله مصنف اسمه مختصر في الادويه المركبة المستعمله في أكثر الأمراض) (٢)

ومن الذين عملوا في هذا الحقل العلمي ابو يعقوب بن اسحاق بن نسطاس المتوفي سنة ٣٨٨ هـ والذي كان يكتب الرقاع في خزانة الشراب وأيضا ابو الفتح منصور بن مقشر الطيب الماهر والذي كان لتفوقه في البحث والتشخيص اثر في تقريب الحكام له

(١) عبد الصاحب الدجلي / علام العرب ص ٢٠٧
(٢) ابن القفطي تاريخ الحكماء ص ٧٢

وجعله من جله خواصهم وقد كان لهذا الطيب دراية وخبرة بصناعه الطب وهو من الأطباء المشهورين والعلماء المذكورين مكينا في الدولة حظيا في الحكام وبلغ في خدمتهم أعلي المنازل واسماها وله علم واسع في تشخيص العله وله كتاب اسمه الدستور جمعه بما اتضح نفعه بالاستعمال . (١)

ومن علماء مصر الاسلامية نابغة طب العيون ابو القاسم عمار بن علي الموصلي وهو عراقي الأصل ولم يظهر تفوقه مسهرته فيها وصنف كتبه في مجال طب العيون بين مجتمعها وكان من أعظم أطباء العيون في العالم الاسلامي قاطبه (وبين أشهر مصنفاته المنتخب في علاج العيون ووصف الدواء الذي يبريُ امراضها وكانت كثرة امراض العيون في مصر سببا في نبوغ ابن عمار والتفرد في مسائل الكحاله وشيوع اخبار الرمد بالقطر المصري وله ابتكارات في جراحة العين سجلت باسمه اسرفت في الحقل العلمي واخذها العلماء والممارسون بعد نجاحها في الذسطاط والقاهرة وذلك بعد اخترع أبو القاسم انبوبة معدنية مجوفة لامتصاص الماء اللينة داخل حدقة العين وقد اجري ست عمليات بواسطة هذه الانبوبة . (٢) وقد اهتمت اوربا بمجهودات هذا الطبيب النابغة ودرست اثاره ومبتكراته وزادت علي معلوماته ما يحقق

---

(١) ابن ابي اصيبعه عيون الاطباء ص ٥٥

(٢) عمر كحاله . العلوم البحته ص ١٠٨

المزيد من النفع لمرض العيون والذي مهر في علاجهم طبيبنا ابن عمار

وهكذا نري ان اطباء مصر لم يعملوا في مجالهم الرحيب وفق الاستقراء والتخمين وانما ادوا مهمتهم السامية بحنكة عالية ومهارة فائقة بعد ان شخصوا الأمراض وتابعوا التجارب المعملية بما يناسب واقع الحالات المعروضة عليهم في دور العلاج المصرية المختلفة . وقد نقلت الينا كتب الاسفار المتخصصة أدوار التجريب والاختبار بدايه باستخدام القارورة المعروفه باسم النفرة والتي تفوق مقام معامل التحليل في عصرنا الحالي حيث لم نغفل الطبيب (النظر في ايوال المرضي لكي يخرجون النفرة فما كان يعالج مريضا دون النظر الي قارورته ولـ مع اقرانه الاطباء والمستغلين بضاعه الطب في نظرها آراء وعلامات يتصرفون منها في حالة البول من صحة وسقم ثم بعد ذلك ينفقد أحوال المرضي ويعتبر أمورهم وبين يديه المشارفين - المشرفين - والعوام - الخدم - فكان جميع مايكتبه لكل مريض من المداواه لايؤخذ عنه ولايتواني في ذلك وبعد فراغه من ذلك يصل الي ديوان البيمارستان ليحضر كتب الاستغال ويطالع ويبحث فيما عرض عليه من أحوال (١).

---

(١) عيون الانباء ص ١١٦

وكان تشخيص المرضي يجري علي نظام يشبه مايحدث في مستشفياتنا الحديثة وقد استخدمت الآلات التي اتيحت لهم حتي يستطيع الطبيب من خلالها التعرف علي الداء بعد الانصات التام الي سماع شكوي مريضة ثم يبدأ الطبيب التعرف علي بيئة المريض وحياته واحواله معيشته ومدي سلامته ويتعرف الي اسرته واحتمال اصابتها بالامراض فاذا تيسر له ذلك قام بفحص بوله وجس نبضه الذي يعرف عن طريقه التغير اليسير الحادث في النبض والذي ينبئ عن اشياء خفيه . ان الغلب والعروف والضوارب تتحرك كلها حركة واحدة علي مثال واحد في زمان واحد ومن أجل هذا أمكن التعرف علي حركة القلب من حركة الشريان . (١)

وكان الطبيب لايمارس مهنته إلا بعد اجتياز امتحان دقيق في التخصص الذي برع فيه دراسه متانيه وبحث دقيق علي يد أساتذه مهره في زمانهم ومتابعة مؤلفاتهم وبعد أن يتم الطالب مرحلة الدراسة بتقديم إلي رئيس الأطباء في القطر المصري ووظيفته اكبر وظائف الاطباء علي الاخلاف ويطلب أجازته لمعاناه صنعه التطبيب . وكان الطالب يتقدم اليه برسالة في الفن الذي يزيد الحصول علي الأجازة في معاناقه وهذهالرسالة أشبه بما يسمي اليوم اطروحه وتكون هذه الرسالة له أو لاحد

---

(١) توفيق الطويل . العرب والعلم ص ٤٦

مشاهير الاطباء المتقدمين أو المعاصرين يكون قد اجاد دراستها ويمتحنه فيها ويسأله علي كل مايتعلق بما فيها من الفن ماذا أحسن اجازه الممتحن بما يطلق له التصرف فيه من الصناعه (١)

وقبل أن يزاول الطبيب هذه المهنه المقدسه بعد أن صقلت تجربيته وتجلت مذاهبه العلميه يتعهد أمام كبير الاطباء الذي أجاز له ممارسه الطب دون تعقيدات روتينيه أو قيود حكوميه بأن يكون (كتوما لاسرار المرضي لايبوح بشئ من أمراضهم وأن يكون سليم القلب عفيف صادق اللهجة لايخطر بباله شئ من أمور النساء والأحوال التي شاهدها في المنازل وأن يكون مؤمنا ثقه في الأرواح والأموال لايصف دواء مثالا ولايعلمه ولادواء يسقط الاجنه يعالج عدوه بنيه صادقه كما يعالج حبيبه وأن يكون حريصا علي التعلم المبالغ في منافع الناس وان يكون حسن الخلق طيب الرائحة نظيف البدن والثوب تام الخلق صحيح الأعضاء حسن الذكاء جيد الروايه عاقلا ذكورا (٢)

وقد عملت الحكومات المتعاقبه تحت ظلال مصر الاسلامية الوافر علي اصلاح شئون الاطباء ماديا وأدبيا حتي ترتض مطانتهم في المجتمع الاسلامي الذي ينشده الاسلام لبنيه بالعمل علي تهدئه خواطرهم من خلال امدادهم بالاموال التي تعينهم علي العيش الكريم

---

(١) د/ احمد عيسي البيمارستان في الاسلام ص ٤٣

(٢) ابن ابي اصبيعه مرجع سابق ص ١٠٧

فضلا عن الحوافز المتعددة علي هيئه هبات أو خلع أو ضياع أو أراضي تكون تحت تصرف المنعم عليه في أوقات النبوغ واظهار البراعة الطيبه لابناء مصر فلا عجب أن تسمو مرتبه الأطباء في مجتمع ينزل العلماء اقدارهم المرتقبه . فاذا سكنت أحوال الاطباء وطابت أمزجتهم ظهر ذلك جليا علي صحه من يقومون بتطبيبهم . وقد شهر بين الناس التاثير النفسي في العلاقة بين الطبيب ومريضه ، يقول صاحب تراث الاسلام : (إذا نزلت مصيبه بطبيب فلا تفتحن فمك بلومه فلكن امرء ساعته وادخل الطمأنيه الي قلب المريض المتألم ومنه بالشفاء وان لم تكن صناعتك به وأثقه من شفائه لاتلك تساعد قواه الروحيه علي المقاومة ويلحم بك عقلك وجدك ولا تبحث عن الشهرة بطريق انتقاص الآخرين ولاتتردد في عودة فقير أو معالجته فلا يوجد عمل أشرف من هذا ولا تطلب أجرك عندما يكون المريض في أخطر مراحله لأن المريض ينسي مافعلت لأجله متي أيس من مرضه (١)

وقد كانت هناك عده عوامل ساعدت علي انكباب الطلبه علي هذا الفرع الجليل من فروع المعرفة أهمها الخطوة الكبيرة والطفرة الهائلة في الأهتمام الحكومي والشعبي بالصحة ومقاومة الأمراض

---

(١) ماكس مايرهوف تراث الاسلام ص ١٨١

ان وجدت بشتي الوسائل الممكنه في زمانهم . هذا فضلا عـــــن القواعد الدينيه المقرره في النظافه وحسن الهيئه ودرء الخطـــــر وعمل كل مامن شأنه اصلاح الأجساد وتحريم الأشياء التي تلحـــق المضرات بالخلايا الجسمانيه والعقليه وقد توافقت الآيات القرآنيه والأحاديث النبويه علي هيئه وصايا تنزل بردا وسلاما علي المسلمين في كل وقت وحين باذن الله . (قل من حرم زينه الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لايحب المسرفين)

(حرمت عليكم الميته والدم ولحم الخنزير وماأهل لغير اللـــه به والمتخنقه والموقوذه والنطيحه وما أكل السبع الا ماذكيتـــــم وما ذبح علي النصب) (نحن قوم لانأكل حتي نجوع واذا كلنـــا لانشبع) بحسب ابن آدم لتقيمات يقمي صلبه وان كان ولا شـــك فاعل قتلت لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) (كل واشـــرب والبس من غير سرف ولا مخيله) وغيرها من النورانيات المضيئـــه والمشرفه علي أركان حياتنا الاسلامية والتي في قدلولها ادّراك لأهمية الصحه البدنيه يقول المستشرق جاك ريسلر (ان المسلمين عرفوا قواعد الصحه العامه وانفقوا بواسطتها خطر الأمراض الوافدة وجعلوا لأجسامهم المناعه الكافيه ولقد تطفوا أجسادهم ولباسهـــــم ومساكنهم من الأوساخ لأن النظافه من الإيمان فتوفقوا واستحمـــوا وغسلوا أيديهم قبل الطعام وبعده وامتنعوا عن مسح اليدين بمنديـــل

غير نظيف وعن التنفس في الطعام والشراب بغيه تبريده حتـــي انهم كانوا يبعدون القح عن فيهم اذا تنفسوا ولا يبتلعون بقايـــا الطعام المستخرج من بين الأسنان واستعملوا لتنظيفها السواك وعند استيقاظهم من النوم كانوا لايدخلون أيديهم في إناء قبل الغســل وقلموا الأظافر وغسلوا الفاكهة وغطوا أواني الشراب والطعام ولـــم يدخلوا الطعام علي الطعام وقد بلغ أحدهم بمـــن الهندام ونظافة البدن حد الاقراط وقد كانوا علي بينه من انتقال العدوي فابتلعوا عن المجذوم وحجروا عليه في المستشفيات واحجموا عن الدخـــــول في بلد قد وقع فيه طاعون ومنعوا الخروج منه حتي يزول المـــرض ـ بما يشبه الحجر الصحي في أيامنا ـ واهتموا بتنظيف مدنهـم وتزويتها وترتيبها بموجب القواعد الصحيحة ومنعوا كل مايسبـــب تلوث الطرقات ولما طوا الأذي من الطريق وحذروا من التخـــوط في المسالك لو تحت ظلال الاشجار وفي المياه . وقتلوا الطـــلاب الفـــاله تخلصا من محاذيرها واخذوا السابله علي الميول ولبســـوا الملابس الشيحه ورجحـــ الأبيض علـ ـه وأكثروا فـــ بيوتهم من الروائد وكانوا علي بينه من تأثير المناخ علي صحـــة ولذلك احروا بتغير الهواء لبعض العاهات كفقر الـدم وهـــزال الجسم وينقلون المرضي الي الجبال وتواطئ البحار والبـــــلاد المارة حسب فصول السنة (١) علي أن يكون في موقع ممتـــاز

(١) للحضارة العربية ص ١٩٧

وجو صحي مناسب وتعمدا أن يكون بعيدا عن ضوضاء الأســـواق والتجمعات السكانيه وكانت لهم طريقه نظيفه للتخفف من جـوده الهواء وصلاح الموقع لبنـاء المستشفيات تغني عن كل الأساليـب المبتكره التي تتبع في العصور المتأخره للوقوف علي كـشـــف الجراثيم والإحاطة الكامله بوسائل التحليل فكانوا يعلقون قطـع اللحوم في مواقع مختلفة من المدن في وقت واحد فأنها أســـرع في العفن اجتنبوا بناء المستشفي عنده واختاروا المطان الآخـــر الذي تتأخر فيه عوارض الفساد واذا كانوا يتخيرون أحســـن البقاع عند تشييد هذه المؤسسات العلاجيه فانهم لم يهملوا تـــزدد تلك الأبنية بالحدائق الغناء موروداها الناضرة واشجارها الظليلـه بينما تنتقل الطور بين أغصانها مغردة أعذب الألحان الطبيعيـة التي حباها الخالق علي بني الأنسان وقد وجدت المسبلات والفساقي التي تسيك فيها المياه لتدفـت الانتقاش والارتياح . وكانـــان البيمارستان (عبارة عن مستشفي مجهز بجميع ما يلزم للمرضـــي من أدوات وأدوية وأطعمه وأشربه وملابس وأطباء وصيادله وكـــل ما يعين علي ترفيه الحال علي المرضي والعجزة والمزمنين والمسجونين وكانت منقسمة الي قسمين منفصلين عن بعضهما قسم الذكور وقسـم للاناث وقسم مجهز بما يحتاجه من اله وعده ووخدم وفرانيـــن من الرجال والنساء وقوام ومشرفين وفي كل قسم من هذه الأقسام عدة قاعات لمختلف الافراض فقاعه لافراض الباطنه وقاعـــه

للجراحات وقاعه للتجبير وكانت قاعه الأمراض الباطنه منقسمه الي أقسام أخري . (١)

ويوجد داخل البيمارستانات اقساما متعدده تعرض علي كل منها المرضي الذين يشكون من أمراض معينه حيث يتعدد القسم طبيب معالج ممارس للطب في هذا الفرع الذي مهر فيه ولمان يرأس الجمع ناظر ينظر أو يشرف علي ادارته المختلفه . ومن الوظائف الهامه بهذه المؤسسة الحكومية رئيس الأطباء وهو الذي يحكم علي طائفة الأطباء من الناحية الفنية وهو الذي يأذن لهم بممارسه المهنه - كما قلنا من قبل - (ثم رئيس الكحاليين - العيون - وحكمه في الكلام علي طائفه الكحاله حكم رئيس الأطباء في طائفة الأطباء ورئيس الجراحيه وحكمه في الكلام علي طائفه الجراحيه والمجبرين وكانت أعظم الوظائف الصناعية في الدوله بمصر وظائف الأطباء فكانت العاب أرباب الصناعات الرئيسية كرياسه الطب من الدرجة الأولي ويعمل باوامره وموضوعها التحدث الي الأطباء والكحالين ومن شاكلهم ولايكون إلا واحداً من المرتبة الأولي مرتبة المجلس الأعلي (٢)

وقد زودت تلك المستشفيات بكل الخدمات التي يستفيد منها المرضي تحت سماء الدوله الاسلاميه مجانا حيث وقفت لتلك

(١) العلوم العقلية في العصور الوسطي . عمر رضا كحاله ص ١٠٦
(٢) صبح الأعشي جـ ٥ ص ٤٦٧

الخدمات أوقافا سنيه لتظل مفتوحه تؤدي واجبها الانساني العظيم دون كلل وكانت معظم تلك البيمارستانات معده اعدادا كاملا وكان الطبيب يدور علي المرضي ويتفقد أحوالهم ويبين يديه المساعدين وكان جميع ما يكتبه من أدويه وأدوات وقف أعرض لا يؤخر (وكان يزور المرضي كل يوم وكان المرضي يرقدون علي أسره مزوده بأغطيه وكان الممرضون هم الذين يمنحونهم الأدوية عدة مرات كل يوم كما يقدمون لهم الوجبات الغذائيه للفقراء والأغنياء علس السواء . ولم تكن معيشة المرضي تختلف كثيراً عن معيشة مرضي اليوم وقد وجدت في تلك الأيام المنشئات خدمات خاصه هذا غير الصيدليات والمحال والمطابخ وغرفا للقراءة وقد عين أول مدير للبيمارستانات في القرن العاشر الميلادي وكان يلحق بكل بيمارستان اطباء وطلبه جراحون وأطباء عيون ومجبرون (١)

وكان يلحق بكل مستشفي مكتبة زاخرة بكتب الطب وغيرها بما يحتاجه الأطباء وتلاميذهم وكان لبعض الأطباء أنواع من العلاج هي من منكرات قرائحهم (وقد كان لهم من حسن الخلق والاناه والتسامح مع المرضي داخل البيماستان الشئ الكثير والتدبير الحسن والغايه التامه براحه المرضي وكان طلبه الطلب يتلقون

---

(١) جاك ريسلر مرجع سابق ص ١٩٧

علومهم علي اساتذتهم اذ كانت تهيأ لهم الايوانات الخاصة المعدة المجهزة بالالات والكتب احسن تجهيز داخل البيمارستانات فيقعدون بين يدي معلمهم بعد أن تفقدوا المرضي وينتهوا علاجهم وان بعضا من مشايخ الطب وكبار رؤسائهم كان يعتقد لهم مجلسا عاما للتدريس بضاعه الطب للمشتغلين عليه في منزله أو في المدارس الخاصة . (١)

وكانت هذه المستشفيات اذا جيئ اليها بمريض يشكو علته يفحص أولا بالقاعه الخارجيه فمن كان به مرض خفيف يكتب له العلاج ويصرف من خزانة السراب - الصيدليه - الملحقة بالبيمارستان . ومن كانت حالته المرضيه تستدعي علاجا طويلا كان يفيد اسمه في أول اجراء لدخوله القسم الذي يريد العلاج فيه ثم يدخل الي الحمام بعد أن تحفظ ثيابه وماله وتحفظ عند أمين البيمارستان ثم يلبس ملابس خاصة وتفرش له الأسرة باثاث جيد ثم يعطي الدواء الذي يصفه الطبيب المعالج ثم يكتب له الغذاء الموافق لصحته والمقدار المفوض له . وكان غذاء المرضي يحتوي علي لحوم الاغنام والأبقار والطيور والدجاج وكانت علامه الشفاء أن تأكل المريض رغيفا كاملا ودجاجة كاملة في الوجبة الواحدة فاذا أصبح في دور النقاهه ادخل القاعه المخصصه لامثاله

---

(١) عمر كحاله العلوم العلليه في العصور الوسطي ص ١١٠

من الناقهين حتي اذا تم شفاؤه اعطي بدله من الثياب جديـــدة ومبلغا من المال يكفيه الي أن يصبح قادرا علي العمل . وكانت غرف المستشفي نظيفه تجري فيها المياه وقاعاته مفروشه باحسن الاثاث وكان لكل بيمارستان مفتشون علي النظافه ومراقبـــون للقيود الماليه وكثيرا ما كان الامراء والخلفاء في مصر يتفقدون بانفسهم أحوال المرضي ويشرفون علي حسن معاملاتهم (١) ثـــم تعطي له امانته التي حفظها الامين في خزانه البيمارستان ومرحق المريض ان يتردد علي الطبيب المعالج الي أن يصبح سليمـــا معافي . واذا احتاج المريض الي علاج خارجي مكن له الطبيـــب في التزود من الأدوية الموافقه لمرضه ويكتب في الرقاع تطـــورات العله وتلمس الحاله ان وجد تحسنا اعلمه وان لم يجد ذلك التحسن طلب منه دخول البيمارستان مرة أخري ولا يخرج منه إلا اذا برئ ومن المدهش حقا أن تتولي الدوله الاسلاميه في مصر عبر الأعصـــر المتتابعه بتكفين وتجهيز من وفاه الأصل وهو تحت العـــــلاج بالبيمارستان فيصرف له الناظر ماتدعـو الحاجه اليـه برســم غاسلـه وثمن تكفيته رجلا أو أمراه وأجره حفوظه وعاقرقبـــره ومواراته علي السنة النبويه والحاله المرضيه ومن مات بين أهلـــه وكان يعالج خارج البيمارستان صرف اليه الناظر أيضا في موتـــه بتجهيزه وتسهيله وتكفينه وحمله الي دفنه ومواراته في قبـــره

(١) مصطفي السباعي من روائع حضارتنا ص ١٤٦

ما يليق به بين أهله . (١)

وقد أنشأت بعض البيمارستانات التي تعالج المرضي المصابين بعلل عقليه وكان الأطباء داخلها يعالجون المجانين والمختلين بمحبة ورفق علي يد أطباء اخصائيين في الأمراض العقلية يقول المرحوم العقاد (وكانوا يعالجون الجنون علاج الأمراض الطبيعيه وقد كان يسمي عند الأفرنج بالمرض الالهي أو المرض الشيطاني لانهم كانوا يحسبونه من اصابات الأرواح أو الشياطين(٢)

وكان المحتسب يأخذ علي الأطباء عهد القراط الذي اخذه علي جميع الأطباء ويحلفهم ان لايعطوا احد دواء مراولا يبر كفاله سما ولا يصنعوا السماثم عند أحد العامة ولا يذكروا للرجال للدواء الذي يقطع النسل وليغضوا أبصارهم عن المحارم عند دخولهم علي المرضي وينبغي علي الطبيب ان يكون عنده جميع آلات الطب علي الكمال مما يحتاج اليه في صناعه الطب غير آله الكحالين والجراحين وللمحتسب ان يمتحن الأطباء بما ذكره حنين لمن اسحق في كتابه المعروف بمحنه الاطباء اما الكحالون فيمتحنهم المحتسب بكتاب حنين في العشر مقالات في العين ممن وجده عارفا بتشريح العين وعدد طبقاتها السبع وعدد رطوبتها الثلاث وعدد أمراضها الثلاثة وامزجه العقاقير اذن له المحتسلب بالتصدي

(١) نفس المرجع ص ١٥٤

(٢) اثر العرب في الحضارة الاوربيه ص ٣٨

عداواه اعين الناس اما الجراحون فيجب عليهم معرفة كتاب جالينوس في الجراحات والمراهم وأن يعرفوا التشريح واعضاء الانسان ومافيه من المنصل والووف والشرايين والاعصاب فيتجنب ذلك وقت فتح المراد وقطع المواسير ويكون معه دست المناشع فيه مبافع مدورات الرإس وماس الجبهه ومنشار القطع ومجرفة الأذن ومرهميدان المرهم ودواء الكندر القاطع للدم (١)

وكانت أهم البيمارستانات المصريه في الفسطاط والفظائع والقاهرة تلك المدن العامرة التي عايشت أزمنه الخلفاء الراعدين والامويين والعباسيين والامراء الطولونيين والاخشيديين والخلفاء الفاطمين علي اختلاف ازمنتهم - ويأتي في المقدمه بيمارستان رقاق القناديل في احدازقه حديثه الفسطاط قبل أنه كان في الدولة الأمويه . وبيمارستان المعافر كان في خطه المعافر التي موضعها مابين العامر من مدينة الفسطاط وبين مصلي خولان التي بالفرافه وبيمارستان القشاشين الذي كان بالجراحين علي القرب من الجامع الأزهر وبيمارستان القصر الشرفي للخليفة الفاطمي وخواصه (٢)

وفيها البيمارستان العتيق المشيد أيام الطولونيين وهو المعروف بالبيمارستان الأعلي وكان به حمامين للرجال والنساء منفصلين

(١) الشيرزي نهايه الرتبه ص ٩٧

(٢) ابن القطبي تاريخ الحكماء ص ٢١٢

«ويوجد به حمام للمارستان - لعلاج الأمراض العقليه - وقد شرط هذا المستشفي علي كل علل يدخل فيه (ان تنزع ثيابه وتحفظ عند اببن المارستان ثم يلبس ثيابا وتفرش له ويغذي وتعطي له الأدويه ثم يؤمر بالانصراف عندما يبرا وذلك اذا أكل رغيفا وفروجا ثم يعطي ماله وثيابه وقد ذكر ان مبالغ ما أنفقه احمد بن طولون عليه وعلي مستغله ستون ألف دينار ولم يكن قبل ذلك في مصر مارستان قبله ولم يعالجوا فيه جنديا ولامملوكا وكان مووسعه في أرض العسكر وهي الكيمان والصحراء التي تقع بين جامع ابن طولون وكون الجارح وفيما بين قنطرة السد التي علي الخليج ظاهر مدينة مصر وبين السور الذي يفصل بين القرافة وبين مصر ثم المارستان الاسفل ولمان فيه من الازيار والصيني والبرافي والقدور والنحاس والهوادن والطوت وغير ذلك ونقل اليه من المارستان الاعلي أضعاف ذلك وقد بني بالفسطاط سنة ٣٤٦ هـ وقد بناه الخازن الذي عمر المقياس بالاهراء في عهد طاقور الأخشيدي وقد عمر معه ميقاتين المرسومه احداهما بسبيل المدني والسقايه والحمامين المعروفين بحمامي بوران . وقد وقفت عليه اموالا ضخمه من جمله مايبني من قياريه ودور وحوانيت تصرف عليه البيمارستان الأسفل . (١)

ولاتظن ان الاهتمام الطبي كان متركزا في المدن المصريه

(١) البيمارستان في الاسلام ص ٧٤

الزاهرة وانما خص الامراء والخلفاء اهل الأطراف والقـــــري بالقوافل الطبيـه في البلاد المتعدده علي طول الوادي اعلاه وأدنـاه وأصبح البيمارستان المتنقل مجهزا بجميع مايحتاجه المرضـــــي من علاج وأطعمه وأشربه وملابس وأطباء وصيادله وكان يتنقل مـــن قريه الي قريه في الأماكن التي لم يكن بها بيمارستانان ثابتـــه . وكان أفرادها يرحلون علي الأبل والخيل لمداواه المرضي وقـــد يصلون في أماكن الجيش الرابض وتقوم بالمعالجه أطباء مخصوصيـن وتطيب قوافل الحجاج والمسافرين ، وكان الأمراء يرسلـون الادويـة الي الأماكن التي ليس فيها بيمارستان فتوزع علـــي المحتاجين اليها من الناس وهناك البيمارستان المتنقل الـــذي يعالج الساجين في الحبس حيث يطوف عليهم أطباء في كل يـوم فيعالجون مرضاهم بالادويه اللازمه هذا فضلا عن محطات الاسعـاف التي كانت تقام بالقرب من المساجد الجامعه والأماكن العامـــه التي تزدحم بها العامه في المدن والمحتشدات .

الأدويه المستعمله في تلك الآونـه :

وقد كان من دواعي الفخر أن يلحق بكل مؤسسة علاجيـــه تنشأ بمصر (خزانه شراب) صيدليه يقوم بادارتها رجل حكيـم جريته الصناعه وحنكته التراكيب للعديد من الأمراض والعلـــل المنتشرة في زمانهم وقد حفظ لنا التاريخ العلمي في فجر الفسطـاط

والقاهرة أسماء العلماء النباتات والكيمياء الذين قدموا خدماتهم الجليله لأبناء الوطن للقضاء علي العلل المتفشيه وابراء المرضي علي وجه التخفيف . وقد كانت تلك الأدويه التي كانت تحضر داخل خزانه الشراب تقدم للعامه مجانا وكانت الحكومات الاسلامية في مصر تنفق جزاء هذا العمل الخير مئات الألوف من الدنانير . وقد شملوا تلك الأماكن بالرعاية الدائمة فوضعوها تحت المراقبه الدوريه والتي كان يقوم بها المحتسب ذلك الموظف الصادم الذي لاايورع في انزال العقاب الفوري لكل متجاوز من أرباب مهنة الصيدله وتحضير العقاقير النباتيه . وقد اتخذوا القوانين الخاصه لتركيب الأدويه حتي تظل المستحضرات الطبيه واقفه تحت المراقبه المشدده وقصدوا من ذلك أن ينفقوا الساحه العلميه من ادعياء العلم والجهله الذين يسيئون الي مهنتهم عند اهتزاز الثقه بهم وباعمالهم . وقد كان المحتسب خبيرا بمعرفة خواص النباتات ولذلك كانت مراقباته الدوريه لخزانات الشراب تمنع من داخل الغش علي الأدويه المركبه من مزيج معلوم لديه وكان فحصه يشمل أنواع الشراب والدهونات والمراهم والعطور والزقاق والمياه المقطره والمواد الكيماويه كالراوند والجوز المقيئ والكافور تقول كتب النظم ان المحتسب كان يوالي تفتيشه علي الصيادله (لأن تدليس هذا الباب كثير لايمكن حصر معرفته علي التمام فرحم الله من نظر فيه

وعرف استخراج غشوشه فكتبها في حواشيه تقربا الي الله تعالـــي فهي أضر علي الخلق من غيرها لأن العقاقير والأشربه مختلفـــــه والطبائع والأمزجه والتداوي علي قدر امزجتها فمنها مايصلـــــح لمرضي ومزاج فاذا اضيف اليها غيرها أخرجتها عن مزاجها فاضرت بالمريض لايحاله . فالواجب أن يرقبوا الله عز وجل في ذلـك وينبغي علي المحتسب ان يخوفهم وينذرهم بالعقوبه والتغرير بعـــد فحص عقاقيرهم كل اسبوع (١) .

وقد كانت الطريقه المتبعه ان الطبيب يكتب الدواء المناسب علي رقاع ترسل الي خزانه الشراب ليقوم الموظفون العاملون داخل الصيدليه بتحضير العقاقير المطلوبه وفق العله المكتوبه في الرقعـــه الطبيه والمتتبع لاسماء تلك العقاقير يجد أن أطباء مصر قـــــد عالجوا جميع الأمراض التي تصيب الأنسان . وافهم لم ينحلـــــوا بمجهوداتهم في نتائج الملاحظات العلميه للحالات المرضيه التـــي كانت تعرض عليهم في مؤسسات العلاج الحكوميه وقد افرغوا محصله تلك التجارب المعمليه والملاحظات المنقبه عن العلل نغيه البـــرء المتوقع في عده مؤلفات قيمه زخرت بها مكتبات البيمارستانـــان والصيدلنيات المتعددة فاصبحت تلك المراجع الضوء اللامع الـذي اثار السبل للمشتغلين بالمهنه واتساع البهجه في قلب من به مـــرض وقد حوت تلك المؤلفات الطبيه علي كثير النـــادر من النباتـات

(١) ابن الشيرازي نهايه الرقبه في الطب الحسنه الباب السابع ص ٨٧

المستخلصه والاعشاب الموافقه لعلاج امراض محدده . وكانت لتقديم علم الكيمياء اثر بالغ في تقدم الصيدله بمصر فاصبحت التركيبات الكيميائيه المستعمله والمكونه من مقادير دقيقه للراوند والجوز المقيئ والسليخه والسنامكي والتمر الهندي والقرمز والكحول والمياه المقطره والسم في حالات خاصه والطاقور وغيرها تخطئ بالاهتمام الطبي والدراسة المعمليه المتأنيه . ولا يمكن أن تغفل جهود العلامه المصري النابغه (ماسويه الماردیني) المتوفي سنة ١٠١٥م والذي كان من مشاهير المؤلفين في هذا الفرع العلمي الخصيب وبين خيره الصيادله في العصور الوسطي علي الأطلاق قد درس في (دار الحكمه) علم النبات فاستفاد من خبرته الواسعه طلبه العلم وأطباء العصر علي الأطلاق حيث أمكن له استصاء العقاقير اللازمة لعلاج الأمراض المتفشيه والتي كان له فيه مجهودات مشكوره لنتائجها النافعه . وكانت ملاحظاته الباهره في توصيف الأدويه وترتيب مخلطاتها من خلاصة الاعشاب النباتيه ونتاج للمزروع كالمشروب والمدهون والمقطر واللاحق ـ قد شدت انتباه المدارس الأوربيه فيما بعد وقد شهدت له المراجع الأجنبيه بالتفرد والنبوغ وبيتت أن مؤلفاته العلميه قد طبعت حوالي خمسين طبعه فغي أزمان متقاربه . وقد عرفته جامعات بيرن وليدن ولازال البعض من تلك المؤلفات تدرس الي قرن سلف . كما تزخر مكتبات لندن والاسكوريال والقسطنطينيه بالجليل المقيد من تلك المؤلفات

التي كتبه العلامه المصري الي يومنا هذا .

ولا يمكن أن ننسي فضل وجهود العالم الالمعي أبي عبدالله بن يعقوب التميمي صاحب كتاب (مادة البقاء د/ صلاح فساد الهواء والتحرر من ضرر الاوباء) وكتاب مخلص النفوس) في النباتات الذي عاش في آواخر العصر الأخشيدي وقد شهد فترة وصول الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الذي اعجب بمصنفاته وقربه وانزله مكانه عليا في بلاطه . وقد أوردت ابحاثه الملمه فيض المعلومات النباتيه ذات التراكيب الطبيه وقد اعتبره علماء الحضارة (حجة لمن اشتغل في ميدان المستحضرات الطبيه .) ومما يذكر في صفحة علمنا التميمي تحضيره للعقاقير المعدنيه والحيوانية وقد اتقن تركيب الأدويه عن طريقهما وقد انكر العديد من الأدوات التي تذيب ما استحسن من الأجسام المستخلصه منهما وقد اشتملت مؤلفاته علي الملاحظات المؤكده القائمه علي التجربة والمستنبطه من واقع الاختبار والمنبثق من المعرفه الحسيه الظاهره فقد طوع ماء الفضة والبوتاسيوم وحامض النتريك وحامض الكبيرتك وروح النشادر لخدمة الانحراض الطبيه وقد قال في كتابه الشهير (مخلص النفوس) هذا تريان الفته في القدس واحكمت تركيبه مختصر نافع الفعل دافع لضرر المسمومات القاتله المشروبه والمصبوبه في الابدان بلغ ذوات السم كالافاعي أو لدغ الرتيلات والعظايات حجرب ليس له مثيل .

والجدير بالذكر ان مصنفات الطب المصريه كانت تـــدرس ويجري التجارب علي حقائقها في المحافل العلميه العربيه في بغداد وانطاكيه والرها وقرطبه وحلب وغيرها من الحواضر المزدهره والتي كانت تتيه بالحكمه والعرفان · وأصبح الاعتماد علي خلاصـــة ماانتجه قرائح علماء مصر المشهورين وأطبائها المبرزين · بعـد أن عرفت تلك المنارات العلميه ان رمضات تلك الجهود لم تقـم علي محض التخمين أو مجرد طلاسم اصطلاحيه جامده · وانمـــا تابع علماؤنا تجاربهم الصحيحه بالمزيد من الممارسة الحقه لتلـــك المهنه الجليله التي تتطلب التروي والحلم والجلد والفهم الواعـــي والادراك الصحيح لأمر العلاج المناسب للامراض والذي صادف النجاح في حقول التجارب المعمليه فمن ذلك انهم قد توصلوا الي أدويـــه ودهونات ناجعه في هذا السبيل (واستعملوا السكر ونقلوه علـــي العسل فأدي ذلك الي الكثير من المستحضرات الصحيه المقبولـــه بالسكر ركوبا الاشربه والجلاب ومربات الأعشاب والفواكـــه واللعوق (١) وقد برع الأطباء في مصر الأسلامية في علاج الشعـــر وأحواله والأمراض الجلديه بمراهم ودهونات غايه في التأثيـــر والفعاليه حتي قضوا علي أسباب تساقط الشعر وعملوا علي تقويتـــه كما توصلوا الي أدويه مهمه لادواء الثقاف والسعفه الرطبه والحـــزاز

---

(١) حيدر بابات · مجالي الاسلام ص ١٤٣ ·

والثعلبه وابتداء الصلع وعلاج تعجيل انباته وكذا (الأمـــــراض الحادثه في سطح جلده الوجه المكلف والقوابي والنمش والقـــــروح والتآليل والعدسيات فيه وسائر ماينقي البشمه ويبسط جلده مـــــن الغسولات والقمر · وفي أنواع الصداع العارض من البرد والحـــر والرطوبه واليبس والامتلاء والخواء وأنواع الشقيقه ومايمنع التجـــار الذي يحدث عنه هذا التصاعد الي الرأس ومايقويه حتي لايقـــــل مايرتفع اليه ومايتبقي الدباغ من الادويه ومايزكي الذهن وما يخـص نفعهـا للدماغ من الأغذيه وما يضره من ذلك · وعلاج أمـــــراض السكنه والفالج والتشتج واللقوه والخدر والرعشه والخوانيف ومـــــن يتخلص من خناق السد والغريق اذا تخلص وأمراض العين والأذن والفم وعلاج البخر والهاه وأمراض الكبد والطحال وأنواع البرقـــان وأوجاع المفاصل والنقرس وعلاج أمراض النساء والاستسقاء والحرارة وادرار العرق وحبسه · والنزلات والسعال وسائر أوجاع الصـــدر والقلب وأمراض المعدة وأنواع القولنج (١)

وقد نجح الأطباء المصريين في إظهار براعتهم من خلال **الأبحاث** الدقيقه والتشخيص الموفق في معالجه (حمي التيفود باستعمال المـاء البارد وامتصاص النبات لبعض الأدويه ومعالجه غشاوة العين بمقـض العدسه وانحرافها وصب الماء البارد لقطع النزيف واستخدمـــــوا

---

(١) ابن القفطي اخبار الحكماء ص ٥٧

البنج - الذي ظن أنه من مبتكرات العصر الحديث وذلك باستعمال الشيلم لتنويم المريض قبل العمليات المؤلمة حتي يفقد وعيه وحواسه . (١)

وقد عالجوا الأمراض العقليه علاجهم الأمراض الطبيعيه وقد اعتنوا كثيرا من اهتماماتهم وقد أنشئوا المصحات الخاصة لعلاج المجانين الجنون بمدينة الفسطاط اواسط القرن الثاني من الهجرة أوردوا سائر العلاجات الموصلة للشفاء وتفوقوا في ذلك (وقد مارسوا التلقيح ضد الجدري وكانت طريقتهم الفنيه تختلف عن طريقه العينين وكان التلقيح يتم من طريق فتح جرح في الجزء البض من اليديين الابهام والسبابه وكان الجرح يدلك مفتوحا بمساعده جمره أو جمرتين محرقتين . (٢)

أما الجروح الناشئه في سائر الجسم فقد جسموا المتقيح منه وطهروا المتعفن الظاهر اهماله وعالجوه بأوراق معروفه وذلك بان (تحمل في أول الأمر علي النار وتوضع ساخنه بحيث يكون من الممكن تحملها وذلك في حالات الرضوض واضطرابات الجروح والالتهابات والاوذيما من كل نوع وكان يستخدم العلاج نفسه في تيسير سيل القيح من الدمامل والقروح والخراريج ويحضر للشفاء التام لخرافات اساسها مسحوق الحناء وهو علاج له قيمته بخاصة في

(١) جوستاف ليبون حضارة العرب ص ٥٩٥
(٢) ريسلر . مرجع سابق ص ١٩٤

حاله الالام العصبيه والجروح المتدليه سواء أكانت ذات تكوين متقيح أو كانت بدونه (١).

وقد سبقوا عصرهم في معالجة الماء الأزرق بواسطة تنزيل عدسة العينين واقفوا نزيف الشرايين الشعرية بالاماء البارد كما استخدموا نسيج العنكبوت في جسم النزيف الدم السطحي كما توقعوا لكلي المناطق العليله بالنار باهره خاصة في الأمراض المستعصيه كما عالجوا أمراض الأسنان وتسوسها وتخلصوا من الخراريج الكامنه في اللثه ولإمراض الروماتيزم والالتهابات المفصليه بالكلي بمسامير رفيعه ملتهبه بالنار وكانت (بعض الحميات تعالج بعشب يطلق عليه تمورارض أو بمستخرجات من أعشاب تسمي اجلوبولوريا · وكان مرضي الحصوة يعالج عن طريق حقن مستخرجه من جذور مخففة ومسحوق من نبات الرنس وكان الأسهال يعالج بمسحوق البذور والجدري للقضاء عليه كان المريض يتناول من ست الي ثماني حبات من القرمز مخلوط بشئ من العسل واذا حدث مرض الطاعون الفاتك فانهم بعد الابتهال الي العنايه الالهيه يطلبون من المريض والصحيح أن يتناولا كل صباح حبة أو حبتين أثناء وجود العدوي من التركيب الآتي : قطعتان من المر قطعة واحدة من الزعفران وقطعتان من الصبر وشراب من حبوب المر · كما انتفعوا من البنسليوم - عفن الخير -

(١) المرجع نفسه ص ١٩٦

ومن العشب الفطري وكانوا يستعملونه علي شكل دهونات لعـــلاج الجروح المتعفنـــه (١)

الالات المستخدمه داخل قاعات البيمارستانات :

لم يزل العدل العلمي لاينكر لأطبائنا مبتكراتهم فـي فروع الطب المختلفه خاصه مايدخل منها في صميم العمليـــات الجراحية وذلك من خلال استخدامهم الأدوات الطبيه مصنوعه لاجراء تلك العمليات علي الوجه الأكمل حتي كان لكل عضو بالجسم العليل جراحه وآله مبضعيه أو جبريه أو موسعـــه أو مساعده أو مبـــردة أو كاسره أو مشبكه تلاحظها شامله من قمه الرأس نزولاال الصـدر والاحشاء والأطراف ثم الأجزاء الدقيقه والاعضاء الغافله فـــي الجسم . واعتقد ان اعظم ماساعد في انجاز تلك العمليـــات بالصورة المثاليه المنقوله الينا هو استصناع المادة المخدرة التـــي كانت فعاليتها وتأثيرها رحيما بمن يعالج من أمراض تستوجـــب عملا جراحيا . وكان المرقد مختلف نكل الأختلاف في تلـــك المشروبات المسكرة التي كان الهنود والرومان يجبرون مرضاهـم علي تناولها كلما أرادوا تخفيف آلامهم القاسيه . وكانت الطريقة المتبعة للتخدير تتلخص في (وضع أسفنجه مخدرة في عصيـــر من الافيون والبنج والزوان ثم تخفف في الشمس وتحفظ وتبلـــل الاسفنجه قبيل استعمالها للتخدير ثم توضع فوق الأنف أو الفـــم

(١) حيدر بامات مرجع سابق ص ١٤٤ .

فتمتص أنسجه المريض المخاطيه المواد المخدرة فيركن المريض الي نوم عميق بقية الوقت التي تجري فيه العمليه الجراحيه دون أدني شعور بالألم . (١)

وتساعد الأدوات الطبيه المهمه الساميه التي يقوم بها الجراح في استئصال أو إجراء العملية التي يقوم بها في قاعه البيمارستان العامل . في خفه ومرونه . والتي نخرج بعدها وقد أزيل أسباب الألم وبعد اساغ برود البرء عليه نهائيا . وقد كانت التخصصات تتزاحم داخل القاعات الطبيه . (وقد تشعبت فروع التخصصات في كل منها فريق من الأطباء . فالطبيب هو الدي يختص باسم الطبائعي وبمروده وهو الكحال وبمنضعه وهو الجرائحي أي الجراح وبمدسه وهو الخاتن وبرشته وهو الفاسد وبمخاجمه وهو الخجام وبقربته وهو الحاقن . وبخلعه ووسيله ورباطه وهو المجبر وبمكواته وهو الكواء . بل زاد التخصص ليشمل طب الأسنان والتوليد والنساء والأطفال والعيون الي أن تخصصوا في طب الأمراض النفسية والفعليه (٢)

أن الالات الطبيه قدوجدت من عنايه الابتكار العلمي العلمي ماقدمت خدمه للانسانية مع توالي التطورات التي تكشف عن جديد جليل الانسان المكرم من قبل الله العزيز الحكيم

(١) احمد عيسي البيمارستان ص ٥٤
(٢) توفيق الطويل العرب والعلم ص ٤٥

ان تلك الالات تشهد للكفاءة الطبيه بمصر ماكان لهـــــا من شأن عظيم وعقليه فاقت أقرانها في الأمم الأخري الغربيـــــة في ذلك المجال ويكفي شهادة الاثار الباقيه من تلك المعـــدات فعلا عن المخطوطات القيمه والمزوده برسوم توضيحيه لذلك الآلات الجراحيه مما تبرر دليلا علي هذا التفوق العلمي والتي كانـــت الاساس التي بنت عليه المدارس الطبيه معلوماتها والمرجع الاميل عند ممارسه تلك المهنه في الشرق والغرب علي حد سواء .

ولعلك واحدا لكل عضو بالجسم الآله الجراحيه المناسبـــــه لعلاجه الحاسم في هذا الثبت [1] الشافي المقدم

١) (مبقع) يستعمل لأغراض الورم ومتجمعات الدم والصديد الذي يستأصل أو يفرغ مافيه وهو حاد من ثقيه .

٢) مبضع آخر لقطع اللوز المتضخمه وهو معطوف الطرف حاد مـــن الطرف العامل غير حاد من الطرف المقابل .

٣) (أنبوبة) لاخراج المتولد في الأذن وهي ضيقه من أسفـــل موسعه من أعلي ويدخل الطرف الرقيق منها في الأذن بقـــدر ما يطيقه المريض ثم يسغط مابداخل الأذن يفعل ذلك مـــراراً حتي يخرج جميع الدود الكائن بالأذن .

٤) (بريد) وهواله كالمسبار ومهمتها التخلص من تجمعـــات الاورام والخراجات والفواصير مصنوعه من نحاس اصفر أو مـــن

(١) بتصرف من كتاب العلوم العمليه في العصور الوسطي لعمر كحاله

فضة وتصلح لسير المواسير التي يكون في غورها تقرح .

٥) (مرود الكلي) طرفه كالملعقه يملأ بالدواء الكاوي لعلاج اللثه بالكلي .

٦) (اله اليزل) وهي عبارة عن انبوبة من فضه مصقوله لها في أسفلها ثقب صغير وفي جوانبها ثلاث ثقوب وغرضها بزل الماء الزائد من الجسم .

٧) (مدس) وهي آله لجس واستقصاء الاورام تؤخذ هذه الآله فتغيب في أرطب مكان ثم تدار بواسطة الاصابع قليلا قليلا ثم يرجع المدس ثم ينظف ماعلق به من أنواع الميكروبات .

٨) (آله الالتقاط وهي الاستنباط مايعلق بالفم من شوائب وأشواك أو أجسام غريبه مضايقه للمضغ أو البلع وهي طويله رفيعه في نهايتها تقوس تساعد الطبيب في تنقية الفم مما فيه من الشوائب المقلقة لمريضه .

٩) (تمتله الاسنان) وهي نعرض التخلص من بقايا ضرس قد نكسر ولها شقين قويين للضغط منها علي الضرس أو تحريكه أو التخلص منه اذا بقي من جذور الضرس جزء متبقي .

١٠) (مقص طبي) ومهمته قطع مايزيد من الجلد أويستعمل في عمليات الجفن والشفه .

١١) (طير الد) وهي آله توضع علي العرق النافر بالجبهه لقصد الدم الزائد بها .

١٢) (جبيره) وهي جهاز يبعد لشد العضو المكسور ليلتئم وتكـــون الجبائر من خشب الغرابيل أو جرائد النخيل . والجبائـــر التي توضع علس الكسر عادة ما تكون اغلظ واعرض من سائـــر الجبائر وطولها يكون حسب العضو من كبر وصغر .

١٣) آلات عمليات العين) وهي مايستعمله طبيب الكحاله لازالـــة أمراض الرمد مثل المقص ومقرص بشفرته طولها مقدرا مايقطع من الجفن ومقراض للفظ الســـبل من الاكليـل وضنانير لعلـك السبل ورده لقطع توته الجفن والسلعه وهي لقطع قوته الملتحمـه والاسه لكشط مايراد ازالته من طرف الجفن .

طبيب الخـــواص :

وهو من مبتكرات الدوله الفاطميه في مصر . حيث كان طبيبـا ماهرا في مهنته يجلس علي باب دار الخلافه كل يوم علي الدكـك التي بالقاعه المعروفه (بقاعه الذهب) وقد كان يختار ممـــن جمع بين فضيله الداب العلمي لدراسه الطب وبين ممارسته لهـذه الوظيفه الساميه وحقق فيها شهره وذيوعا وقد سجل في صفحـات التاريخا يشهد له بان يخلد اسمه ويحقق له بمقتضي ذلـك من صفوف عامه الاطباء الي مصاف الخواص الاعـلام الذين تشرفون بالجلوس في مقام التكريم لطبيب لقصر الخلافـة اعلي رتبه يمكن أن ينالها عالم بالطب في تلك الأونـه . عندما يسند الخليفه الفاطمي هذا المنصب الي أحد الأطبـاء

المبرزين كان يعتبر مرجعهم الثبت في هذا الفن . وقد كان الخليفه يكلفه بعقد امتحانات دوريه عمليه لاطباء البيمارستانات في أحوال خاصة . وكان يلحق بمناحه الخاص الذي عمل له في عهد الظاهر لاعزاز دين الله الخليفه الفاطمي الرابع خزانه الشراب فيها كل ما يحتاجه من أدويه يمكن أن يستعملها لغرض العلاج فضلا عن ادوات الطب المختلفه التي زددت بها حجرته التي كان يمكث بها علي كامل الاستعداد لاي طارئ يحدث للخليفه اثناء انعقاد مجلسه في أوقات النهار أو أجزاء من ليله . وكانت المهمه للخليفه ولذويه جميعا وللجواري والامراء فيعالجون داخل القصر . وكان لثقل المهام المسنده الي الطبيب الخاص لكثرة رجال القصر والحاشيه والاعداد الغفيره الحاكمه فقد احتاج الي معاونه جهات كامل من الاساتذه المهره من زملائه الاطباء الذين يختارهم للعمل معه تحت اشرافه ووفق مشورته (اذ كان دونه أربعة أطباء أو ثلاثة فيسرع الاستاذون الخدم والطواشيه فيستدعون منهم من يجدونه للدخول علي المريض بالقصر لجهات الأقارب والخواص فيكتب لهم رقاعا علي خزانه الشراب فيأخذون ما فيها وفق الرقاع عند مباشريها . (١)

وهناك رأي في أن الطبيب الخاص كان يقوم بمعالجة الخليفة ف

---

(١) المقريزي الخطط جـ ١ ص ٨٢

فقط أما اجراء العلاج وتضميد الجراحات ووصف الاشربه للأقارب والحاشيه الموجودين بالقصر كان يقوم بها ويتولاها الاعوان -- الثلاثه أو الاربعة - من الاطباء - نيابة عن الطبيب الخاص الذي كان يتقاضي رانيا جاريا علي الرسم خمسين دينارا كل شهر . (١)

وقد يحتاج الخليفه الي هذه الفئه من الأعوان عند عجز الطبيب الأول فقد يكون من بين هؤلاء من يقدر علي تعيين المرضي وتشخيصه ووصف العلاج الناجح في رقئه . وإذا المتألم الخليفه نفسه قام الطبيب الأول علي الفور ليؤدي مهمته كامله وقد يطلب أحد المساعدين من الأطباء الموجودين وان كان الشاكي غير الخليفه بعث من يطلب طبيبا من أحد أعوانه الأربعه وقد تقوم بالمهمه هو عند عجز طبيبه المناوب وقد توزعت الأعباء في القصر لشئون الطب حتي لاينشغل الطبيب الخاص بأمر الغير دون الخليفه . وقد يقف هذا الجهاز مع تكامل عدده عاجزا أمام مرض مستفحل للخليفه وقد تعييه الحيله امام مرض داهم فعندئذ لامضر من طلب طبيب آخر من خارج القصر للاستناره برأيه فيما عجز فيه الأطباء الخليفه من علاج المرض وحصر الداء لعدم معرفتهم لخواصه واستسلامهم امام استفحاله ولعدم معرفتهم باستخلاص الذي يتوصل من خلاله ابراء المرض الذي يعاني منه الخليفه من

(١) ابن القفطي اخبار الحكماء ص ٨٧

ذلك عندما اصيبت قدم الخليفه الفاطمي الثالث الحاكم بامر الله بعقر مزمن ولم يبرا منه مده مع ان الطبيب الخاص متصوربن مقشر وغيره من الأطباء الخصوصيين كانوا يبذلون الجهد لعلاجه والسهر عليه ثم مالبث ان فكر المحيطين بالخليفه ان يحضروا له طبيبا يهوديا مصريا مغمورا يرتزق من مداواه الجرحي ومعالاه جراحاتهم نظير اجز زهيد (١) وقد نبغ في ذلك ودخل هذا الطبيب الي القصر الفاطمي وطبيب الخليفه وزجع علي الجرح دواء يابسا فشفي الخليفه بعد ثلاثة أسابيع فانعم عليه الحاكم بجائزة ماليه قدرها ألف دينار ولقبه بلقب - الحقير النافع - وكان الطبيب يتشرف به ويجعله من مفاخره بين أطباء عصره بعد أن كان جراحا خاملا . (٢)

وقد نال الطبيب النصراني اسحق بن نسطاس مكانه لم ينلها أحد قبله حيث كان فاضلا في ساحه الطب وكان دائما في خدمة الخليفة العزيز بالله وابنه من بعده وكان عاملا في طب الحواص معتمدا عليه في أمر الطب فكان حجه في مدارسته وعقد الامتحان للاعوان الطبيين وقد نال ابن نسطاس الخطوة والمكانة العليا علي الرغم انه كان من اهل الذمه في دوله تقدر العلماء وتنزلهم المكان اللائق بالمبرزين الافذاذ وقد نال درجة ساميه .

(١) ابن أبي اصيبعه مرجع سابق ص ٤٤١
(٢) ابن القفطي تاريخ الحكماء ص ٢٧

قد أصابها هذا الطبيب حيا وبعد مماته بسبب مواقفه وملاحظاته الطبيه للخلفاء وأسرهم مما كان لها أكبر الاثر في هذا التقدير اذ لما توفي هذا الطبيب النصراني شيعت جنازته يوم الأحد بعد الظهر وبين يديه خمسين شمعه موقده وعلي تابوته ثوب متقل وخلف جنازته كبار المسيحيين كالطبيب ابن مفشر والمطران ابن ابي السيد وسائر النصاري . وقد صلي عليه في كنيسة الروم بقصر الشمع طول الليل ثم دفن بدير القصير (١)

رئيس الاطباء :

وهي وظيفه رفيعه المنزله عاليه المكانه بين الخواص والعدام حيث كان متوليها يحكم طائفه الأطباء جميعا ويأذن لهم في مهنه الطب ويعقد لهم الامتحانات الدوريه . ويتولي امدادهم بالمصنفات المهمه والمراجع الحكميه المتعدده الفائده والتي تكون في العادة من وضعه أو من تأليف غيره من أعلام عصيره أو ممن سبقه من نوابغ هذا الفن يقول عنه القلقشندي (ان درجة رئاسة الطب في الدرجة الأولي وهي تعادل درجة المجلس - الوزارة -وموضوعها التحدث الي الاطباء والكحالين ومن شاكلهم ولا يكون الا واحدا وفي المرتبه الاولي رتبه المجلس العالي وهي من الوظائف الصناعيه العظيمه (٢)

---

(١) عبد الرحمن زكي تراث القاهرة العلمي والفني ص ٢٠

(٢) صبح الاعشي جـ ١١ ص ٤٧

وقد كانت له مهمة الاشراف علي البيمارستانات العامه التي عدت ككليات الطب في عصرنا يختلف اليها الطلاب للتزود من المعارف التي كانت تدرس في البدايه في احدي قاعات تلك المؤسسات الطبيه ثم عمليا مع العديد من الحالات المرضيه داخل البيمارستانات في فروع الباطنيات والجراحات والعيون وقد كان رئيس الأطباء يطلب من الاطباء لكي يكونوا حكماء من نوابغ ان يلموا بحقائق الفلسفه الحكميه واللغه السريانيه والفارسيه واليونانيه والسنسكرتيه · الي جانب ادراكهم للمعلومات الطبيه نظريا وعمليا · فقد كان الرئيس يحرص علي ان يكون أطباء البيمارستانات أوعيه خير لجميع التخصصات الطبيه ويوزعهم علي الانشطه المتعدده لكي يصبح الواحد ثبتا متمكنا في طب الجراحه والعيون والحجابه والتوليد والاسنان والأطفال والعظام ويجري العمليات التي تتطلبها الحالات المرضيه داخل قاعات البيمارستانات العامه كما كان الرئيس يتولي نفسه مراقبه الأطباء في تشخيص الأمراض وكتابة الأدويه علي الرقاع فان وجد نبوغا في فرع من تلك التخصصات لدي هذا الطبيب أو ذاك عقد له الامتحان الشامل في التخصص الذي يبقي العمل فيه · ومما يجدر ذكره ان رئيس الاطباء كان يؤكد عند المعلمين والدعاه في المساجد معاني الوقايه من المرض قبل وقوعه وذلك (بالارشادات الصحيه الصحيحة وذلك بالملاحظة التي تستهدف الصحه من الاصحاء وهو جانب وقائي

والذي يعرف اليوم باسم (علم الصحه) لان الوقايه من الأمـــراض اهم من مداواه المرضي وأكثر نفعا . (١)

ومن أشهر من تولي رئاسة الطب المصري الطبيب النابغـــــة علي بن رضوان وهو من علماء الطب والعاملين في مقله ولـــــه مؤلفات غايه في الدقه والتطبيق العملي وهو مصري المولد من الجيزة وقد نشأ فقيرا معمدا وأصبح بفضل مابذله في هذا الميدان مـــن جهد وافر واجتهـا وظاهر رئيس الاطباء لثلاثة من الخلفـــــاء الفاطميين الحاكم والظاهر والمستنصر . ولد سنة ٣٦٤هـ وتدل تلك الكتب والمراجع النفيسه التي تركها في صناعه الطب علي سعـــه المامه بهذا الفرع الجليل ويبرهن علي طول اناته وسعة فكـــره واصطلاعاته التي لاشكر له ومن الجدير بالذكر أنه لم يعتمد فـــي مؤلفاته ومصنفاته إلا علـــي التجريب والملاحظه المعمليه التي مـارس الجانب الاكبر فيها في بيمارستانات مصـر فلم يعتمد علي نقـــل أوشرح من سبعة من أطباء الحواضر الاسلامية . بل كان متحررا من قيد الفكره المسبقه . اعتمادا علي أعمال الملاحظه المدققـــه . فكانت مؤلفاته خلاصه فكر وابتكار مشفوع بالجهد الدائب قال عن نفسه (واجعل ثيابي قرينه بشعار الاطباء والنظافه وطيب الرائحة والزم الصمت وكن اللسان عن معايب الناس واجتهد الا اتكلـم الا

---

(١) حيدر بابات مجالي الاسلام ص ٨٧

بما ينبغي واتوقي الايمان واساليب الاراء واحذر العجب وحب الغايه واطرح الهم والاغتمام لااحلف ولااتسلف الا ان اضطر الي ذلك واقتصر علي خمسة كتب من كتب الأدب وعشرة كتب من الشرع وكتب القراط وجالينوس في صناعة الطب ومثل كتاب الحشائش لديستوتونس وكتب روتس واربياسدس وبولس وكتب الحاوي للرازق وكتب ارسطو طاليس وافلاطون والاسكندر ومحمد الفارابي ومن كتب الصيدله والفلاحه اربعة كتب ومن كتب التعليم المجسطي ومداخله وما انتفع به فيه والمربعه لبطليموس (١) وقد لازم العلماء وناظر في العلم وتعلم واحترف صناعة الكلم والتصنيف ليقتات ويشتغل بالاعمال التي تحقق له الكسب المناسب وحاوله الذكر الحسن والسمعه الطيبه حتي سمع به الامراء المقدمين والخلفاء الفاطميين فاستقدموه وقربوه بعدما استحسنوا اعماله وجعلوه رئيسا للاطباء عن جداره فائقه حيث وهبه الله عقليه ملتقطه مبتكره وواعيه مستنطه قد تتلذ عليه العديد من طلاب العصر واخذ عن مصنفاته الكثيرين من المهتمين بالعلم ونشاطه .

وقد كان خط ابن رضوان متوسط يشبه خط الحكماء واصحاب العبقريات يبين الحروف فقط وكان يشغله تشكيلا حسنا صحيحا يدل عل صخرة من فنون اللغه وكان يكتب لنفسه مؤلفاته ولايميلها علي أحد وفوق جهوده في الطب له كتب في أحكام النجوم وقد شرح

(١) ابن ابي اصيبعه عيون الانباء بطبقات الاطباء ص ٩٩

فيها الاربعه لبطليموس هذا عدا قراءاته من الاقاويل النجوميه والالفاظ المنطقيه المترتبه والمنتظمه باحكامه . (وقد كان لرئيس الاطباء المصري مع الطبيب النصراني البغدادي ابن بطلان مجالس ومحاورات وطرح اسئله ومحاجه فلم يكد احدهما يخط مؤلفا أو مصنفا الا يكون الآجر مفيد مضمونا رادا عليها برايه وفكره واجتهاده وقد طلب ابن رضوان من صديقه الوفي ان ينزل ضيفا علي مصر فجاء الي منزله بالفسطاط ولكن ابن بطلان خرج منها غاضبا حاقدا علي الطبيب المصري ولم يعد الي بغداه بل وصل الي انطاكيه يتجرع غصص المراره والاسي حتي توفي باحدا ديره المدينه . (١)

اما مطانته العلميه التي تبوأها عن جداره فقد مكنته من ان يحتفظ بروح العالم التي تسمو الي مرتبه الانتقياء والزهاد الذين لاتفرقهم معميات الماده التي لو طلبها لدامت له . ولو صار عبد لها ما احتفظ مما هو فيه من سعة الفضل وبذل الجهد وكثرة التصانيف التي اخرجها لتشرف المكتبه الطبيه التي تعتبره من اوائل الاطباء المصريين في العصور الاسلامية فكان فيها من المحددين الذين لهم فضل السبق في العمل والشرح والتجريب والتصنيف وقد توفي ابن رضوان سنة ٤٦٠ هـ عن خمس وتسعين عاما معناها في تحصيل الطب

---

(١) انظر كحاله . العلوم البحته ص ٨١

يقول حسن ابراهيم (كان ابن رضوان رئيس الاطباء في عصر تفوقت فيه الظاهره علي غيرها من الحواضر كبغداد وقرطبه . ويري ابن رضوان ذلك الفيليسوف المشبور والطبيب الماهر ان طالعه بدل علي ايه خلق ليكون طبيبا فدفقبه تلك القصده الي تحصل الطب فبدون مشاهداته وبغير مادلت التجربه علي فساده ويظهر ما يظهر له مسلاحه ولم يكن ذلك الطبيب جشعا كل همه الكسب في ضاعته بل كان طبيبا انسانا يعرف اهتماميه لاسعاف الملهوف ومساعده الفقير والمحتاج ولايفكر فيما وراء ذلك من طلب المال وهذا اقصي ماتتجه اليه همه الطبيب الكامل (١)

وقد كتب ابن رضوان مايقرب من التسعين مؤلفا لدفع الأمراض والاضرار عن الجسم وقد اعتمد في معظمها علي الوسائل الطبيعيه في الاعمال والابعاد كدراسه الطقس واهميه مقول السنه مع ذكر سته اسباب للامراض المصريه في تلك الفصول ومنع الاسقام والامراض المتغشيه في مصر ووصف العلاج الصحيح لتلك الامراض وقد كانت أهم مؤلفاته (الرد علي كتاب الاسقاطات لجالينوس وكتاب (الي اطباء مصر والقاهرة) وفي عبر الطبيب ابن بطلان وكتاب الاحوال في الطب وكتاب الاوديه المفرده علي حروف المعجم وكتاب النافع في كيفيه صناعه الطب وكتاب (فيما ينبغي ن

---

(١) الدولة الفاطميه ص ٥٠٢

يكون في حانوت الطب وكتاب في دفع مضار الايدان بارن في مصر وهو بنفسه الي خمسه عشر فصلا ومقدمه النقد فيه الطبيب اراء التونس احمد بن ابراهيم المعروف بابن الجزار لاعتماده علي ماسمعه فيما كتبه ولم يخفف فيها كتبه بنفسه (١)

وقد زامل علمنا النابه ابن رضوان نابغة الطب المصري الحكم علي بن سليمان ذلك الطبيب المعالج الذي عمل في بيمارستانات الفسطاط والقاهرة واشتغل بامور المحاضرات العلميه في دار الحكمة التي انشئت سنة ٣٩٥ هـ وقد استفاد طلاب العالم الاسلامي بما قام به من مناظرات طبيه مع صديقه ابن رضوان وقد ظهرت اثار تلك المحاجات العلميه التي كان للتجريب والفحص والملاحظات الفضل في ابرازها علي مائدة البحث ومادون في التصانيف القيمة لكلا العلميين الخبيرين بالامراض المتفشيه في المجتمع المصري في تلك الحقبه الزمنيه وقد تميز ابن سليمان بكتبه المتداوله في علم الطب من أهمها الامثله والتجارب . وكتاب الخواص الطبيه المنبثقه من كتب اتقراط وجالينوس . وكتاب التعاليق يقول عنه صاحب موسوعه (عيون الانباء) بانه (كان طبيبا فاضلا متقنا للحكمه متقدما في صناعه الطب ولعل ابن سليمان من الكتب اختصار كتاب الحاوي في الطب وكتاب الامثله والاخبار والنكت الطبيه المنتزعه من كتب الاقدمين . وقد وجدت خطه أربع

(١) ابي اصيبعه مرجع سابق ص ١٠٢

مجلدات . وقد ذكر انه ابتدا تاليف المختصر في سنة تسعين وثلثمائه بالقاهرة . (١)

كما كان المبشرين فاتك الحكيم المصنف اكثر اطباء مصر ملازمه للعلم الاشهر ابن رضوان قد أخذ عنه القواعد الدقيقه والمسائل السديده في هذا الفرع العلمي السامي . وقد اعترف ابن فاتك بتلك القواعد التي عاد خيرها علي مؤلفاته من تلمذته علي يد صديقه ابن رضوان والشيخ ابي الحسين المدني المعروف بالآمدي وقد اخذ عنهما كثيرا من العلوم الحكميه . والمشر هو الامير محمود الدوله ابو الوفاء ابن فاتك . قد كان من اعيان مصر وامرائها ثم تفرغ للعلم وقضي معظم حياته في الانكاب علي الحقائق النادرة والمعلومات الهامه في علمي الطب والرياضه حتي اصبح من افاضل الباحثين الذين خدموا الساحه العلميه المصريه بغاية النبيله التي قصدها وعاش من أجلها (غزاره البحث والتنقيب العلمي في فرائد العلوم الحكميه وقد مارس الطب واشتغل به مده طويله وكان لملازمته لابن رضوان فوق تفرده بالجهود الموفقه في البحث والتصنيف الفضل العظيم في شهرته العريضه في العالم الاسلامي وحوافزه الزاهوه . وقد مهر في التصور للمجال العلميه والتاليف في تلك العلوم التي استحوت علي اهتماماته جل اوقاته . وتعال ان العالم الفحل الحسن بن الهيثم قد كـ

(١) ابن ابي اصيبعه ص ٥٥٠

ممن اجتمع به واخذ عنه كثيرا من العلوم الحكميه وراجع عليه المعلومات الرياضيه · والمبشرين فاتك له تصانيف جليله القدر كثيرة الكم في فروع العلم المختلفه في المنطق والفلسفه والفلك والرياضه فضلا عما تفرد فيه من صناعه الطب وكلها مشهورة فيما بين الحكماء وكان كثير الكتابه عزيز الانتاج وقد وجدت بخطه مؤلفات عده من خلاصه جهده أو من تصانيف من سبقه حيث كان محبا للفضائل دائم الاشتغال بالعلم محبا لاهله فما وجده من وقت للاسترواح قضاه في الاجتماع باهل الفضل والادب والعلم في عصره وقد قلب معهم وجه الحقائق وتدارس معهم جليل المسائل التي كان كثيرا ماينفع ومنتفع من تلك المناظرات والمناقشات التي سجلتها ذاكرته وافرغها بطون كتبه التي كان من أهمها كتاب البدايه وكتاب ـــار الحكم) وكتاب محكم الاقوال) (وكتاب الوصايا) والامثال · والموجز الشامل في محكم الاقوال · ومن تلامذته البرزه الشيخ سلامه بن المبارك وابن حمدن · وكانت للمبشر مكتبه ضخمه تزخر بالكتب الفائقه من تأليفه ومن تصنيف غيره من الاعلام · وقد وجد في العديد منها وقد تغير لونها لنعرف اصابها بفعل متعمد من زوجته الحافقه عليه لأنه كان يداوم النظر في العلوم والتطلع الي التصنيف فما يكاد يصل الي بيته الا ويعرف فكره في الكتب ولايفارقها غير عبائي بهذه الزوجة

(١) تاريخ الحكماء ص ٨٩

يقول ابن القفطي (حدثني الشيخ سديد الدين المنطقي بمصر قال كان الامير ابن فاتك محبا لتمسك العلوم وكانت له خزائن كتب في اكثر اوقاته اذا نزل من الركوب لايفارقها وليس له دأب الا المطالعه والكتابه ويري ان ذلك اهم ماعنده وكانت له زوجه كبيره القدر من ارباب الدوله فلما توفي رحمه الله في نهاية القرن الخامس نهضت هي وجواريها الي خزائن كتبه وفي قلبها من الكتب مافيه وانه كان يشتغل بها عنها . فجعلت تندبه وأثناء ذلك ترمي الكتب في بركه ماء كبيره في وسط الدار . وتفعل جوابها فعلتها . ثم انفذت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق العديد من صفحاتها . فهذا السبب في ان كتب ابن فاتك يوجد كثير منها وقد تغير لونها .

وبعـــد : فهذه أسطر أردت بها أن تكون صفحات ورود نديه علي طريق الحياه العلميه الزاهره لمصرنا الاسلاميه . أو طاقات آمال في اشراقات شمس الوجود الانساني الواعد علـــي أرض هذا البلد الطيب الذي يمتزج علي ثراه العريق معانـــي الاصاله والنضارة والمدنيه والحضاره . وعبق جهد محبب معطـــاء لكل فكره ناضحه وصوره متألقه جميله مسجله علي جدار الزمـــن لاتقتني بالتقادم تهديها مصر باسلامها الفاضل الي الانسانيـــة الشامله .

اعـــداد

د/ محمود عبد الفتاح شرف الـــدين

مدرس التاريخ والحضـــارة